

المرأة العصرية تتصالح مع مرحلة الوقار

قبول النساء للشعر الأبيض مفتاح لعيش حياة أفضل



الأبيض تقليعة وليس تقاطعا مع مرحلة عمرية

عكس مسارها، ولكن من خلال الاعتراف بما تتضمنه مراحل الحياة من صعود وهبوط سيكون بمقدور المرأة جعل حياتها رحلة مبهجة.

وفقا للبوعاني "لا يعدّ العمر مشكلة بل مجرد حقيقة فيزيولوجية. تبقى حياتنا مكونة من مجموعة من الأحداث المرتبطة بعامل الزمن. وتتمثل الطريقة الوحيدة التي يمكن أن نعتمدها حتى نعيشها كما يجب في تقبل هذه الحقيقة عوضا عن محاولة تغييرها.. وبعبارة أخرى، يمكننا أن نعتبر قبول النساء للشعر الأبيض مفتاحا لعيش حياة أفضل بنفسية أقوى".

الخاصة، وأن التقسيمات التي صيغت لتحديد فترات الحياة: الطفولة، المراهقة، الشباب، فالكحولية، ليست سوى مراحل عمرية قد يمارس الأشخاص وفقها واجباتهم القانونية، لكنها لا تجبرهم على عدم الاهتمام بمظهرهم الخارجي وبمراعاته.

فاتبيبة والكاتبة المصرية، نوال السعداوي، على سبيل المثال، لم تمثل يوما للقواعد أو السلوكيات التي تجبر المرأة بشكل غير مباشر على الجلوس طويلا داخل صالونات الحلاقة حتى ترصّي ذاتها من حولها، بل قضت جل وقتها بين الكتب وقاعات المحاضرات والنقاشات البناءة.

لم تحجل يوما من الظهور بشعر غير مرتب يكسوه البياض، بل دعت إلى التخلص من كل ما يكبل المرأة حتى وإن كان هذا القيد جسديا.

وأضافت مواطنتها التونسية نادية رديسي "لم يسبق لي أن صيغت شعري بالأبيض، كما أن الفكرة لم تراوذي من قبل، أحيانا أصبغ بعض خصلات شعري بـ'المماش الأبيض'، لكن لا أتصور أن أصبغ شعري يوما ما بالأبيض".

وأفادت ليلي الريدي بأنها لا تحبذ اللون الأبيض على الرغم من أن الشيب قد كسا شعرا، مؤكدة استحالة ترك شعرا أبيض مطلقا.

وفسر الرديعان ذلك في حديثه لـ"العرب" قائلا "صغيرات السن قد يلجأن إلى الصبغة البيضاء لكن دوافعهن مختلفة فهن تحت وطأة التائر بالمشاهير وليست لديهن مشكلة عميقة مع العمر وقضية التقدم في السن. أما التي تقدمت في السن فإنها تحتمل ستشعر بوطأة الزمن ومن ثم لن تنجرف خلف موضة النجمات وتقليعاتهن.. على الأقل سيكون عمر هذه المرأة متقدما بمعنى أنها صارت ناضجة بما يكفي للتفريق بين تقليعة قد تزول بعد فترة وواقع يقول لها إنك تتقدمين في السن سيدتي".

وأضاف "قد تلجأ سيدة لديها القليل من الشعر الأبيض الذي يخالف شعرا الأسود إلى إضافة القليل من البياض إلى ما هو موجود كنوع من التمويه للقول إن كل هذا البياض هو 'صبغة'، وذلك كحيلة نفسية للقول إنها ما زالت شابة".

ويعتبر عالم الاجتماع السعودي أن هذا الأمر شبيه بموضة ترتفع وتهبط. يأتي مشهور آخر -أو مشهورة- ويستخدم لونا آخر ثم تختفي ظاهرة الصبغة البيضاء، متابعاً "أذكر في بداية الثمانينات (1981 - 1982) شيوع ظاهرة المشي دون أحذية نيم ما لبثت هذه الموضة أن اختفت ربما بسبب بعض القوانين التي كانت تمنع دخول المطاعم والمحال التجارية من دون أحذية".

وأشار إلى أن هذا يمكن أن يكون تقليدا اتساق مع نظرية جيراني تارد في المحاكاة وأن بعض السلوكيات هي محاكاة للأخريين أو تقليد لما يقومون به من باب الإعجاب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأنه يحقق لهم حاجات نفسية واجتماعية".

وأوضح أن سعي الفتيات للحصول على قبول زميلاتهن يدفعهن إلى سلوك هذا.. إنهن بذلك يعززن فكرة الانتماء إلى المجموعة التي تقاربهن في العمر. لا ننسى كذلك أنهن يقعن تحت تأثير الميديا بصورة أكبر من غيرهن، ولا ننسى أن الرجل الشرقي عموما يتوقع من السيدة أن تكون جميلة مع التذكير بأن معايير الجمال تصنعها اليوم الميديا وليس الثقافة المحلية كما في السابق".

وشدد الرديعان في خاتمة حديثه على أن "ذاتة الرجل في ما يتعلق بجمال المرأة ليست ثابتة، إنه يرى المشهورات في الميديا ومعظمهن ممشوقات القوام وبصبغات شعر قد تراها غريبة لكنها أصبحت مقبولة من قبل الشباب".

ويؤكد اختلاف الذائقة التي تحدث عنها عالم الاجتماع السعودي أن كل ثقافة تعبر عن الشيوخة بطريقتها

بالأوثق وبالإطلاقات التي لا تدل على تقدم صاحبها في السن، تتبع النساء بعض الطرق المختلفة حتى لا يترك أي أثر من علامات الشيوخة على أجسادهن. ومن بين هذه الطرق، يتعمدن إخفاء شعورهن الرمادي بأي ثمن لأنه يعدّ مرادفا للشيوخة، ونهاية مرحلة الشباب، ونهاية الأثونة، وهو الأمر الذي يعتبره الأخطر. يرتبط هذا مباشرة بنظرة النساء إلى أنفسهن مما يؤثر على فقتهن في أنفسهن".

وأضافت البوعاني لـ"العرب" "لكننا شهدنا اتجاهات جديدة انبثق فجأة في السنوات الأخيرة، إذ لاحظنا انتشار موضة الشعر الأبيض والرمادي".

وأكدت أن هذا "يدل على مستوى من الوعي الذاتي، وعلى نظرة هؤلاء النساء الإيجابية لأجسادهن. ولا ترى صاحبات الشعر الأبيض تقدمهن في السن كقيد أو عقبة في حياتهن الخاصة أو المهنية. وتعتبر هؤلاء النساء الشعر الأبيض بمثابة تحد اجتماعي يفرض على مجتمعاتهن تقبل تقدمهن الطبيعي في السن".

كما كتشفت الأبحاث أن الإدراك الذاتي الإيجابي للتقدم في السن أصبح يرتبط لدى المسنين بالصحة الجيدة وبنسبة وفيات أقل، وذلك عن طريق اتباع أنشطة رياضية وانظمة غذائية مناسبة، بالإضافة إلى أن معايير الجمال منذ عقود ما زالت في حالة مستمرة من التطور بسبب الإدراك المتنامي للجماليات. وهو ما ينعكس على توسع صناعة مستحضرات التجميل ذات الآثار المؤخرة للشيوخة.

ومع ذلك لا يعتقد أستاذ علم الاجتماع بجامعة الملك سعود، خالد الرديعان، أن المرأة التي غزا شعرها بعض الشيب ستكون سعيدة بهذا الزائر حتى لو قام المشاهير باعتماد اللون الأبيض كصبغة شعر.

فئة قليلة من الناس تقبل ظهور الشيب وترى فيه مصيرا حتميا لا مفر منه، إلا أن فئة أخرى تعتبره بداية الانتكاسة، وهو ما يعرضها لضغوط نفسية، وأغلب هذه الفئة من النساء؛ إذ شدت إحدى المتحدثات لـ"العرب"، وتدعى هاجر ساحلي، على استحالة صبغها لشعرها بالأبيض حتى وإن كان من باب مواكبة آخر تقليعات الموضة، لافتة إلى أنه "يذكرني بالشيب.. نفسيا لن أتقبله".

اعتماد الكثير من النجمات العربيات والغربيات صبغة الشعر الرمادي أو الأبيض طبع العديد من الإطلاقات الشبابية، حيث ظهر تنافس محوم بين فتيات في مقتبل العمر على تقليد نجماتهن المفضلات، وهو ما جعل المرأة العربية مترددة بين حالة من التصالح مع مرحلة عمرية تهاجها وبين اتباع تقليعة من تقليعات الموضة.

والانطواء وإهمال المظهر، حتى لا تتبادر بينها وبين زوجها المسافات وتقطع بينهما لغة الحوار.

ولكن بين شغف المرأة بالموضة وبين خوفها من ظهور أبرز علامات التقدم في السن تتداخل التقنيات التي أصبحت تستند أكثر إلى البعد الجمالي الذي يربط في كل ما هو مخالف وغير مالوف مظاهر مختلفة للجمال، حيث أبدت بعض المتحدثات لـ"العرب" استعدادهن للظهور بشعر أبيض، إذ أشارت فاطمة الخياري إلى أنها ولدت بغرة بيضاء حاولت إخفاءها بثشتي أنواع الصبغات لكنها منذ فترة طويلة تخلت عن محاولاتها وتركت البياض يغزو كامل شعر رأسها.

وشددت السيدة التونسية على أنها الآن صارت تنعم بالسلام النفسي ولن تتخلى عن كل ما كتبت تقريبا كان بقلم الرجال، والحال أن المرأة تخاف الشيب وترهبه أكثر من الرجل.

ولكن الكتاب الشيب وغيره كثير ولم يكن كله مدحا ولا فخرا؛ كان فيه هجاء ودم، لكن اللافت أن كل ما كتبت تقريبا كان بقلم الرجال، والحال أن المرأة تخاف الشيب وترهبه أكثر من الرجل.

هذا بعض مما وصف به الشعراء والكتاب الشيب وغيره كثير ولم يكن كله مدحا ولا فخرا؛ كان فيه هجاء ودم، لكن اللافت أن كل ما كتبت تقريبا كان بقلم الرجال، والحال أن المرأة تخاف الشيب وترهبه أكثر من الرجل.

وأضافت الفالحي "لم أشعر يوما بأنني جميلة كما أشعر الآن والفضل يرجع إلى شعري الأبيض".

وهذا ما أكدته نظيرتها الممثلة المصرية سوسن بدر في برنامج "الساتات ما يعرفوش يكذبوا (النساء لا يتفننن الكتب)". قائلة إن الشعر الأبيض أقرب إليها وإلى حقيقتها، مشيرة إلى أنها وجدت الراحة والسلام النفسي فيه". وتابعت أن جميع من حولها حاول تئيبها عن الظهور بهذه الإطلاقة التي تبرز تقدمها في العمر.

واللافت للانتباه أن السنوات الأخيرة شهدت ظهور الكثير من النجمات والفتيات اللاتي في مقتبل العمر بشعر أبيض أو رمادي، وهو ما بات حديث السوشيال ميديا والمواقع الإلكترونية.

وشكل الظهور المفاجئ للكثير من النجمات بهذه الإطلاقة التي تعد مغايرة بشكل كبير لما اعتاد عليه جمهورهن، مازقا لبعض منهن، حيث انقسم الجمهور بين مؤيد لهن ومنقند.

وأوضحت عالمة النفس والباحثة التونسية في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مريم كوكي البوعاني، "في مجتمع موهوس



خالد الرديعان

ذائقة الرجل في ما يتعلق بجمال المرأة ليست ثابتة.. معايير الجمال تصنعها اليوم الميديا



سعيد السكري

موضة الأبيض لن تدوم طويلا، مثلها مثل ما سبقنا من الألوان كالأزرق أو البنفسجي أو الأحمر

شيماء رحومة صحافية تونسية

عبرتني بالشيب وهو وقار/ليتها عبرت بما هو عار"، بهذه الكلمات تغنى الفنان العراقي ناظم الغزالي بالشيب في الخمسينات من القرن الماضي، فيما قال الكاتب ديبع الزمان الهذاني مَرَّحًا به "نزل المشيب فمرحبا بالنازل/إن كان ساعك طالعت بياضه/فقد كساك بذلك ثوب الفاضل". أما شاعر المرأة نزار قباني فكتب "وأعد.. أعد.. عروق اليد/فروق بيدك.. تسليني/وخبوط الشيب.. هنا.. وهنا/تنهي أعصابي.. تنهيني".

هذا بعض مما وصف به الشعراء والكتاب الشيب وغيره كثير ولم يكن كله مدحا ولا فخرا؛ كان فيه هجاء ودم، لكن اللافت أن كل ما كتبت تقريبا كان بقلم الرجال، والحال أن المرأة تخاف الشيب وترهبه أكثر من الرجل.

جرس تنبيه

يتفق أغلب خبراء التجميل والدراسات ونتائج سبر الآراء على أن الشيب يشكل هاجسا مخيفا عند النساء وجرس تنبيه يلهمن بتقدمهن في السن، فهو غير مقبول عندهن ولا يرحبن به، وأغلب النساء يبحثن عن عدة وسائل للقضاء عليه وإخفائه.

وتبدأ أحيانا رحلة البحث عن حلول للتخلص من هذا الصيف الثقيل في سن مبكرة، حيث تعاني بعض الفتيات بسبب حالات وراثية من غزو الشعيرات البيضاء لشعرهن بشكل لافت وهن في عمر الزهور.

وعلى الرغم من أن استفتاء سابقا قامت به صحيفة "مترو" البريطانية وشمل أكثر من 4500 امرأة، أكد أن حوالي 88 بالمئة منهن يجدن أن الشعر الرمادي للرجل أكثر إثارة وجاذبية، فإنهن في المقابل يؤرقهن تسلسل الخصلات البيضاء إلى شعرهن، إذ يضيف ذلك المزيد من السنوات على إطلالتهن، مما قد يصدمهن إلى حد البكاء والنحيب.

ويرتبط خضوع المرأة من الشيب بامرئتين، أولهما أنه ينذر بها بوصولها إلى مرحلة عمرية متقدمة، وثانيهما أنه يخلق لديها هاجس أن زوجها يمكن أن يستبدلها بأخرى لا تزال فتية، حتى أن بعض الزوجات اشتكين من سخرية أزواجهن وتلميحاتهم، ولو مَرَّحًا، إلى ظهور الشيب في شعرهن، ناصحين إياهن بضرورة الاهتمام أكثر بمظهرهن.

وهو ما يدفع المرأة دائما إلى العمل بالحديث النبوي الشريف "المرأة الصالحة؛ إذا نظر إليها سرته... من خلال محاربة الشعيرات البيضاء بثشتي الوان الصبغات، وعدم الاستسلام



فاطمة الفالحي

لم أشعر يوما بأنني جميلة كما أشعر الآن، والفضل يرجع إلى شعري الأبيض



مريم كوكي البوعاني

يمكننا أن نعتبر قبول النساء للشعر الأبيض مفتاحا لعيش حياة أفضل بنفسية أقوى

تحد اجتماعي

لغت سعيد السكري، كوافير بالتلفزيون المصري، إلى أن "تقليعة اللون الأبيض ظهرت منذ سنتين، كانت حينها موضة تعتمد على درجات الرمادي أو صبغ خصلات من الشعر بالأشقر الرمادي الفاتح أو استخدام ما يسمى 'هايلابيت الشعر' وهي عملية يتم فيها سحب لون جزئي للشعر".

وأضاف السكري لـ"العرب" "مع الوقت وتجارب التفتيح المستمر لرمادي استساعت الكثير من الفتيات اللون الناتج عن عمليات التفتيح، لاسيما مع ما لمسناه من نظرات الإعجاب وعبارات الإطراء، إلى جانب أنهن وجدن أنه يعطين مظهرا جذابا".

وتابع "في البداية اقتصر صبغ الشعر بالأبيض على الجزء السفلي من الشعر ثم بعد ذلك ظهرت موضة صبغ كامل الشعر بالأبيض، وأكثر المقبلات على ذلك من الجيل الأصغر سنا من الراغبات في الحصول على إطلاقات جديدة وفريدة".

لكن السكري يرى أن هذا اللون غالبا ما لا يناسب الكبار لأنه يكشف عن تقدمهم في السن، مشيرا إلى أن بعض السيدات يعمدن إلى صبغ شعورهن باللون الأبيض في عملية تمويه لإخفاء أظهرت في الطبيعي بصبغة تعطي درجة لون مختلفة.

وقال سعيد في خاتمة حديثه إن "موضة الأبيض لن تدوم طويلا مثلها مثل ما سبقها من الوان اعتمد بعضها الأزرق أو البنفسجي أو الأحمر.. كانت كلها موضة اتبعها الكثير من الناس في وقت ما.. هذه الإطلاقات بالأساس ظهرت في المناخ الغربي، وقلدتها الفتيات حبا لنجمتهن المفضلات".

ويقطع النظر عن ارتباط المسألة بالموضة أو التصالح مع الذات، فإنه لا يوجد ما يمكن أن يساعد على إبطال الآثار الناجمة عن الشيوخة، أو



اللافت للانتباه أن السنوات الأخيرة شهدت ظهور الكثير من النجمات والفتيات اللاتي في مقتبل العمر بشعر أبيض أو رمادي، وهو ما بات حديث السوشيال ميديا والمواقع الإلكترونية